حوزة الهدى للدراسات الإسلامية
برعاية سماحة الشيخ محمد صنقور
تأسست ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

دروس في الثقافة القرآنية



٥

المستوى الخامس
(الصف الثالث الإعدادي والأول الثانوي)

تأليف
حسن الملاح

لجنة المناهج - ٢٠٠٧م

ص.ب: ١٨٦٢١ سنابس - مملكة البحرين - هاتف: ١٧٥٥٥٤٨٧ - فاكس: ١٧٥٥٢١٩٦
الموقع الإلكتروني: www.alhodacenter.com البريد الإلكتروني: info@alhodacenter.com

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القرآن الكريم كتاب هداية ورشاد، وقد أشار جلّ وعلا في محكم كتابه وشريف خطابه إلى هذه الحقيقة فقال بإشارة التعظيم: (ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ). البقرة/ ٢

وبكونه كتاب هداية لا بدَّ أن يتعامل معه الناس المخاطبون به على هذه الصفة حتى يتمكنوا من الاستفادة من هديه وأن لا ينظروا إليه تبرُّكًا فقط أو يتعاملوا معه كنصوص مقدَّسة فقط؛ لأنهم بذلك يجعلونه معطلاً ويبعدونه عن دائرة التنظيم والإرشاد والهداية. لأن النظر إليه بحقيقته يجعل منه نابضًا بالحياة والفكر كما يجعله منارًا للهدى يضيء درب السالكين لطريق السعادة في الدنيا والآخرة.

إلاّ أنّ فيض عطائه يتوقف على قدرة واحتمال المتلقي لهذا الفيض ونوع الهداية المرادة، فليس كل من قرأه عرفه وفهمه بحقيقته بل إنَّ البعض قد يضل به رأيه، فيفهم النص على غير المراد، لذلك نصب الله تعالى هداةً شموسًا بشرية تضيء للناس طريق الفهم للنص القرآني وتعين الأذهان والأفهام على بلوغ المرام فكانوا هم عدل القرآن بنصه عندما قال: (بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ). العنكبوت/ ٤٩

وهذا هو الطريق والمنهج لفهم القرآن لاستيضاح طريق الفلاح وهو السبيل الذي نصَّ عليه المولى عزَّ وجلَّ بقوله: (وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ). الأنعام/ ١٥٣

ولذا فإنَّ المنهج القويم في فهم كتاب الله العزيز وبيان علومه وإظهار كنوزه لا يتأتى إلا من خلال السبيل الذي أراده إليه ليكون شمسًا بشرية تشعُّ بضوئها ليهتدي بها السائرون.

ونحن في محاولتنا هذه سعيًا للاستفادة من بعض الفيض والعطاء القرآني في إطار منهج أهل البيت عليهم السلام وذلك باختيار بعض من آيات الذكر الحكيم في موضوعات عقائدية وأخلاقية وتربوية عامة نحسبها مهمة في بناء وصناعة نفوس شبابنا وأبنائنا الأعزاء في طريق تكوين الفهم الصحيح لعقيدتنا الإسلامية الحقة.

فما أصبنا من خير فهو ببركة القرآن المجيد وآل بيت النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما أخفقنا فيه فالله نسأل العذر والمغفرة ونلتمس منه التسديد والهداية والتوفيق.

كما لا يفوتنا أن نشير إلى مسألة تتعلق بالتنظيم المنهجي وهي أن محتوى هذه المحاولة قد تم توزيعه ليكون مادة دراسية للشباب من فئتين عمريتين قسمتا على أساس المرحلة الإعدادية والثانوية وهذا القسم الذي بين يديك عزيزي الطالب هو المخصص لطلبة المستوى (الثالث الإعدادي والأول الثانوي).

شكر وتقدير:

يقتضي واجب العرفان بالفضل وتقدير المساعي والجهود الخيرة أن نتقدم إلى كل من ساهم معنا في إعداد ومتابعة المنهج.

ونسأله تعالى المغفرة والرضوان، وصلى الله على رسوله الكريم وآل بيته الطاهرين

حسن الملاح

٥/ ربيع الثاني/ ١٤٢٧هـ

الموافق ٢/٦/٢٠٠٦م

الفهرس

١
من أخلاق النبي الأكرم ﷺ

آل عمران / ١٥٩

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾

يمثل الحب أحد أهم الإحساسات الطبيعية للإنسان، ولهذا تجده يمثل قوة خفية تبعث الإنسان لأن يتعلق قلبه بالآخرين، وبهذا التعلق تنشأ العلاقات بين الأفراد وتتوثق ويعم التآلف بين الجميع، لأن المحبة هي منبع الاطمئنان وهي تمثل لذة روحية يعيش بها الإنسان سعادته مع الآخرين. وإنْ فقد الإنسان المحبة فإنَّه يفقد عنصر الأمان والاطمئنان؛ لأنَّه يفقد رابطة أو علقة من العلائق التي تربطه بإخوانه، ولهذا تراه يعيش القلق والاضطراب عند فقده للمحبة، ويعيش الظلام النفسي، بل إنَّ بعضهم يعيش صورة منقلبة عن الإنسانية فيعيش البغض والكره والرغبة في التفريق والتدمير...إلخ، لأن قلبه لم يعمر بالمحبة ولم يقو هو إحساسه الطبيعي.

إن التوافق الروحي هو الذي يؤلف بين الناس ويوثق العلاقات والروابط، ولأجل إدامة أواصر المحبة والمودة لابد للإنسان أن يطرح فوارق الاختلاف جانبًا ويعيش الإنسانية في أحلى صورها بالتواضع والمحبة والألفة... ليحصل على محبة الآخرين.

وقد نُقل عن أحد العلماء قوله: إنَّ حياتنا كمنطقة جبلية كلما نادى فيها الإنسان سمع صدى صوته، فالذي يكون قلبه مليئا من حب الآخرين لا يرى منهم إلا المحبة والوفاء... وهذا القول يكشف عن قانون طبيعي في هذه الحياة يمكن التعبير عنه بأنه المعاشرة الحسنة وحب الآخرين تكون الجالبة لحب الآخرين ومبادلة الشعور والإحساس.

وبمثل هذه المودة وهذا الشعور العظيم تتآلف القلوب ويمكن أن يحدث التأثير العظيم في بناء النفوس والشخصيات، ولهذا نجد أنَّ رسولنا العظيم ﷺ قد تبنى هذا النهج في دعوته وفي بنائه لنفوس التابعين له بإحسان، وقد عبر القران الكريم عن طيب نفسه ﷺ وليونتها في تعامله، وهي صورة التواضع العظيم الذي كان يعيشه الرسول الأعظم ﷺ وبهذه السجية استطاع أن يبسط سلطان الإسلام وينشر دين الله، فقد كان ﷺ يفتح صدره الرحب على كافة الناس وكانت تتجلى في صفاته العظيمة الحالة الملائكية الجميلة الكاشفة عن محبة عميقة للبشرية لا يمكن وصفها، فكان من محبته وعطفه أنه يعم المسلمين على السوية باللطف والعناية، وقد ورد عنه أنه ﷺ كان يقيم لحظاته بين أصحابه، ينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسوية .(انظر متن الحديث في: كتاب الكافي-الروضة ص٢٦٨) ونقل أنس ابن مالك في صفة أخلاق الرسول ﷺ قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف ولا لم صنعت ولا ألا صنعت.

التطبيقات

السؤال الأول: التوافق الروحي هو الذي يؤلّف بين النّاس، ويوثّق العلاقات والروابط بينهم، وضّح ذلك.

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: ما الأثر الذي تركته الأخلاق المحمديّة في العالم؟

....

....

....

....

....

السؤال الثالث: كيف تستدل على عظمة أخلاق الرسول ﷺ مع خادمه؟

....

....

....

....

....

٢
النبأ العظيم في الكتاب والسُّنة

النبأ / ١-٢

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢﴾

عمّ يتساءلون: أصل عمّ (عن ما) وحرف (ما) استفهام حذفت منه الألف وأدغمت النون في الميم فأصبحت كحرف واحد (عمّ). والمعنى المراد من هذا الاستفهام هو تعظيم وتفخيم الشأن الذي يتساءلون عنه، والذي هو النبأ العظيم.

ما هو النبأ العظيم؟

وقد قيل فيه:

(١) إنه الخبر الذي فيه فائدة عظيمة، ومن هذه الأنباء العظيمة الرسالة الإسلامية والتي هي راية التوحيد، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى في سورة ص عند قوله تعالى في الآيات ٦٥-٦٨: (قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾)[ص/٦٥-٦٨].

(٢) إنه القرآن العظيم فهو النبأ الذي يحمل كافه أنباء الغيب وما يضمن السعادة للبشرية، وقد جاء في هذا المعنى قوله تعالى في سورة هود الآية ٤٩ : (تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾)[هود/٤٩].

(٣) إنه المعاد واليوم العظيم الذي ينشر فيه الخلائق ويحشرهم ربهم، ذلك يوم الحساب وقد جاء في هذا المعنى قوله تعالى في سورة سبأ الآيات ٧-٨ : (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝٨)[سبأ/٧-٨].

(٤) إنه الامتداد والاستمرار للرسالة المحمدية وحكم الله تعالى على العباد والمتمثل في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وذريته الطاهرة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وقد ورد في هذا المعنى روايات كثيرة تدل على عظمته، ومن ذلك:

ما جاء عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عندما خاطب الإمام علي عليه السلام بأنه النبأ العظيم حيث قال: "أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله وأنت النبأ العظيم وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الأعلى".

وعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام في قوله تعالى (عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢) **قال: "قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما لله نبأ أعظم مني، وما لله آية أكبر مني ولقد عرض فضلي على الأمم الماضية على اختلاف ألسنتها فلم تقر بفضلي".**

وعن الإمام الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبأ العظيم".

ومن ذلك أيضًا ما أسند للإمام الصادق عليه السلام في الدعاء بعد صلاة الغدير: "شهدنا بمنّك ولطفك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت ربّنا ومحّمد عبدك ورسولك نبينّا، وعليّ أمير المؤمنين والحجة العظمى وآيتك الكبرى والنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون"، وغير ذلك كثير.

التطبيقات

السؤال الأول: لماذا جاءت الآية الأولى من سورة النّبأ بصيغة الاستفهام؟

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: قال أمير المؤمنين عليه السلام متحدّثًا من القرآن الكريم "ظاهره أنيق وباطنه عميق" فكيف تستفيد من هذا القول الشريف من بيان المراد من النّبأ العظيم؟

....

....

....

....

....

٣

غضُّ البصر وعواقبه المحمودة

النور / ٣٠

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

لعل من أعظم النعم الإلهية على الإنسان أن أنعم عليه بعد إيجاده من العدم، وبعد أن سلّحه بالعقل أنعم عليه بنعمة البصر، هذه النعمة العظيمة التي بها يبصر ما حوله فيتفاعل معها، وبها يقرأ وبها يرى جمال صنع الله في هذا الكون، ويدخل على نفسه كل ألوان السرور النابعة من رؤية المناظر المناظر الطبيعيَّة وعجائب الكون، ولكن هذه العين قد تنقلب وتتحول من مصدر أنس وعلم ومتعة للإنسان إلى مصدر للشقاء والتعاسة في آخرته إذا لم يحسن استخدامها ضمن الحدود والضوابط التي وضعها له خالقه سبحانه وتعالى، ولذلك ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: "كم من نظرة جلبت حسرة"، وكذلك ورد عنه عليه السلام قوله: "ليس في البدن شيء أقل شكرا من العين فلا تعطوها سؤلها فتشغلكم عن ذكر الله".

ولخطورة انزلاق العين إلى المحارم فقد جاء الأمر الإلهي (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ) أن يغضوا أبصارهم عن كل ما هو محرّم عليهم، ولا يجعلوا للشيطان فرصة بأن يتسلسل إلى قلوبهم عن طريق هذه النظرة المحرمة، فللعين اتصال بالقلب، لأنَّ كل ما تلتقطه عدسة العين يترك صورته وأثره على النفس والقلب، وتبقى هذه الآثار لتتفاعل وتنفعل داخل النفس في أوقات خاصة وأجواء معينة فتوجه السلوك الإنساني نحو الهاوية، لأنَّ العين هي أحد أبواب حصن النفس، وفتح هذا الباب يفتح المجال لدخول كل الأطياف والألوان، وتتسرب كل الصور والأفكار فتثير مشاعر الإنسان. ولذلك جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: "إذا أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن العاقبة".

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله لأحد الأصحاب: يا ابن جندب، إن عيسى بن مريم عليه السلام قال لأصحابه: "إيّاكم والنظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة، طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في عينه".

ولأنَّ الله تعالى أراد لعباده الخير والصلاح فقد حذَّرهم من الوقوع في هذه المزالق التي هي صورة من صور الفجور، ودفعهم نحو التزام التقوى ليذوقوا حلاوة الإيمان ويفوزوا بالجنة والرضوان، ولذلك قال ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ فهو الأطهر لقلوبهم وبصرهم وهو أحد طرق النجاة لهم، وقد جاء عن الإمام علي عليه السلام: "من غض طرفه أراح قلبه".

وعن الإمام الصادق عليه السلام: "ما اعتصم أحد بمثل ما اعتصم بغض البصر، فإن البصر لا يغض عن محارم الله إلا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال".

التطبيقات

السؤال الأول: لِمَ جاء الأمر في الآية الشريفة (رقم ٣٠) من سورة النور بغض البصر دون سائر الجوارح؟

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: ما العاقبة الدنيوية والأخروية المترتبة على الالتزام بغضّ البصر عمّا حرّمه الله تعالى؟

....

....

....

....

....

٤
الصراط المستقيم ينير البصيرة قبل البصر

الملك / ٢٢

أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

معاني المفردات:

١- يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ: يسير منكسا رأسه إلى الأرض يتعثر ولا يبصر الطريق..

٢- يَمْشِي سَوِيًّا: يسير مستويا منتصب القامة يبصر الطريق..

٣- صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ: الطريق المؤدي إلى طاعة الرحمن ورضوانه..

تتحدث الآية المباركة عن المقارنة بين مسير وحركة كل من أهل الإيمان وأهل الكفر والنِّفاق، وكيف أن أهل الإيمان يسيرون بحركة هداية كاملة توصلهم إلى طريق النجاح والفلاح في حين أن الكافرين يسيرون على غير هدى ويتخبطون في حركتهم، وقد مثلت الآية الكريمة لكلا الطرفين بمثال حسي يكشف عن أثر الهداية والضلال على مستقبل الإنسان. فالذين كفروا في حركتهم ومسيرهم كأنهم يمشون وهم منكسة رؤوسهم إلى الأرض لا يبصرون طريقهم، وبالتالي يحصل لهم التعثر والضرر والضياع. أما أهل الإيمان فإنهم كالذي يمشي منتصب القامة باستواء واعتدال يرى طريقه ويبصر هدفه فتكون حركته واضحة وأهدافه واضحة ومحددة فيصل دونما خسائر أو ضرر، ورُبَّ سائل يسأل: لماذا يسير الكافرون وهم مُكِبُّونَ رؤوسهم إلى الأرض وعندهم كل الطاقات والقدرات التي تعينهم على السير السوي؟!

صحيح أنهم يمتلكون تلك القدرات والقابليات على السير باعتدال واستواء، ولكن لأنهم قطعوا صلتهم وعلاقتهم بواهب النور والعطاء والخير والحياة فإنهم قد فقدوا نور البصيرة ووصل بهم الحال إلى إدراك الحقائق المعكوسة، فهم والحال هذه يسيرون كمن يسير في طريق وعرة متعرجة كثيرة المنعطفات والمطبّات وهو منكس الرأس ومكبٌّ وجهه على الأرض معتمداً على يديه ورجليه للاهتداء إلى الطريق، فأنَّى له والاهتداء.

لذلك نجد في الآية الكريمة والتي تلي هذه الآية الإشارة الكاملة والواضحة إلى منافذ النور التي سلّح الله بها عباده لتتلقى نور الهداية، ولكن الكافرين والمنافقين لا يشكرون هذه النعمة فهم لا يستفيدون منها، فهم لا يبصرون الطريق المستقيم الذي هو الموصل لطاعة الرحمن ونيل الرضوان.

وقد جاء في الأحاديث المباركة الشريفة أنَّ الصراط المستقيم المذكور في هذه الآية هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الهداة من وُلده عليهم السلام، وقد جاء في الرواية عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي (الكاظم) عليه السلام، قال: "قلت (أفمن يمشي...)".

قال عليه السلام : "إن الله ضرب مثلا من حاد عن ولاية علي عليه السلام كمن يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره وجعل من تبعه سويًّا على صراط مستقيم، والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام".

والحديث طويل، اقتصرنا فيه على موضع الحاجة للآية المباركة ولمن أراد المراجعة فيه: أصول الكافي ج١ - صفحة ٤٣٣ -الطبعة الثالثة– الناشر: دار الكتب الإسلامية.

التطبيقات

السؤال الأول: علل: الكفار يسيرون وهم مكبُّو رؤوسهم نحو الأرض علمًا بأنّ لديهم القدرات على السير السوي.

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: من هو المقصود بالصراط المستقيم في الآية الشريفة؟ وما الدليل على صحّة هذا القول؟

....

....

....

....

....

٥
لمن تكون المغفرة ؟

طه / ٨٢

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

تتناول الآية الشريفة موضوع المغفرة والرحمة الإلهيَّة المؤكدة، ولذلك وردت (غفَّار) ولم ترد (غافر)... وفي ذلك أنَّ الله تعالى واسع المغفرة وكثيرها، ولكن لمن تكون هذه المغفرة؟ إنَّها للتائبين من المعصية والراجعين إلى طاعته، وكذلك الخارجين من ظلمة الشرك إلى نور التوحيد ثم أردفوا إيمانهم بالعمل الصَّالح الذي يؤشر توبتهم ويدل عليها.

ولكن السؤال هنا: إذا كان قد تاب وآمن، فاللازم من التوبة والإيمان هو عمل الصالحات وذلك هو خط الهداية، فما معنى الهداية بعد ذلك الواردة في المقام؟

لعل المراد من الهداية هو الثبات والاستقامة على خط التوبة والصلاح، وهل يوجد خط هداية وصلاح غير الالتزام بهدي النبي محمد ﷺ، ومن لوازم هذا الخط هو التقيد بكل تعاليمه وما أمر به ﷺ، وعلى رأسها ولاية أهل بيت النبي ﷺ باعتبارهم حفظة الرسالة والامتداد الطبيعي له ﷺ، وإنَّ الابتعاد عنهم أو الأخذ عن غيرهم لا يحقق الإيمان، بل إنَّه يخرج الإنسان من خط الهداية. فالمغفرة والرضوان لمن اهتدى إلى الولاية التي هي كمال الدين.

وجاء في الصواعق لابن حجر قوله في بيان معنى الهداية: قال ثابت البناني: اهتدى إلى ولاية أهل بيته عليهم السلام [الصواعق/ص٢٣٥].

وأيضًا أورد عن الديلمي قوله: "إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار"

وأيضًا: أنه صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسنين عليهما السلام وقال: "من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة".

التطبيقات

السؤال الأول: لِمَ وردت كلمة (غفار) على هيئة المبالغة ولم ترد (غافر) في الآية الشريفة؟

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: ذكرت الآية ثلاثة أفعال يسلكها التائب إلى الله عزّ وجل لتسعه مغفرته سبحانه، فما هي تلك الأفعال؟

....

....

....

....

....

السؤال الثالث: ما قيمة الاهتداء بعد التوبة والإيمان والعمل الصالح؟

....

....

....

....

....

٦
لمن تكون الولاية بعد رسول الله ؟

المائدة / ٥٥-٥٦

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾

لقد كثر الكلام وطال الجدال في بيان معنى الولي من ناحية اللغة ومن ناحية المراد في السياق القرآني، وحاول البعض أن يصرف معناها إلى مصاديق خارجية تبعًا للأهواء الحاكمة.

فما هو المراد منها حقًا؟

لقد أشارت الآية الكريمة باستخدام أداة الحصر (إنّما) إلى مسألة مهمة، وهي مسألة القيادة والإمامة التي هي ثابتةٌ لله ولرسوله ﷺ باعتباره الرسول المبلغ عن الله، وإنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعليهم السمع والطاعة الكاملة، ثم من بعد الرسول ﷺ تكون الطاعة لمن يمثله روحًا وفكرًا وإيمانًا وشجاعةً... إذ من غير المعقول أن الذي سيقوم مقام النبي ﷺ ليسد مسدَّه ويكون قيِّمًا على الأمة والشريعة أن لا تتوفر فيه هذه الصفات الكماليَّة، لذلك نجد أن الآية الكريمة قد نعتت هذا القيِّم بأنّه المؤمن، وحتى لا تبقى المسألة مفتوحة لدخول غير المراد، حصرتها الآية بوصف ذلك المؤمن، ولم تُشِرْ إلى اسمه؛ لأن الوصف هنا هو الأبلغ في إيصال الفكرة، خصوصا لأنها مرتبطة بحادثة، فنزلت الآيات الكريمة لترسخ هذه الصورة في ذهنيَّة القوم.

والواجب على أهل الإيمان قبول ولاية الله في السماء والأرض وفي الغيب والشهود وكذلك في كل أمور الآخرة والدنيا، لأن هذه الولاية تعني بالضرورة:

- الإخلاص في العبودية له وحده.

- التقيد بالمنهج الإلهي.
- أن تكون حركة العقل والعاطفة من حب وبغض في الله وحده.

وهذه الولاية تتجسد في الحياة الدنيا في قيادة الرسول الأعظم ﷺ وخلفائه الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، حيث هم السبيل المُوصل إلى الله، وقد نهى سبحانه عن اتباع السبل الأخرى باعتبارها تفرق وتبعد عن سبيله فقال تعالى: (...وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ...)[الأنعام/١٥٣]، فطريق الله واحد وصراطه مستقيم، لذلك نجد الإشارة في الآية إلى أن الذي يقبل بولاية الله ورسوله والأئمة الذين فرضت طاعتهم، فإن ذلك يمثل حزب الله الذي هو الغالب، لماذا؟ لأنَّ إرادة الله هي العليا وهي التي تثبت أقدام الذين آمنوا.

وقد روت كتب التفسير قصة هذه الآية، وحاول بعض الحاقدين إصراف معناها ومصداقها عن صاحبها، وذلك عن طريق طرح بعض من **الإشكاليات الضعيفة ومن ذلك:**

١- إذا كان المقصود بالآية فردًا واحدًا فلماذا جاء اللفظ بصيغة الجماعة (الذين آمنوا).
٢- كيف يجوز للفرد أن يتحرك في صلاته التي يجب أن يكون فيها منقطعًا لله.

وقد رد الزمخشري هاتين الشبهتين بقوله:

١- أما مجيء اللفظ بصيغة الجمع في الوقت الذي يكون السبب فيه فرد واحد، فلأن القرآن أراد أن يرغب الناس في مثل هذا الفعل.
٢- إن خلع الخاتم لا يسبب خللاً بالصلاة لأنه من الأفعال القليلة التي لا تفسد الصلاة بعملها.

أما قصة هذه الآية، فتشير كتب التفسير إلى أن سائلاً دخل إلى المسجد النبوي وقت صلاة الظهر فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده نحو السماء وقال: "اللهم اشهد أني سألت في مسجد الرسول ﷺ فما أعطاني أحد شيئًا، وكان علي عليه السلام راكعًا فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم"، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى من النبي ﷺ فقال ﷺ: "اللهمَّ إنَّ أخي موسى سألك فقال (قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرًا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾)[طـه/٢٥]، فأنزلت قرآنًا ناطقًا (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنًا)[القصص/٣٥]، اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيرًا من أهلي عليًا اشدد به ظهري"، فنزلت هذه الآيات المباركة.

التطبيقات

السؤال الأول: ما الذي أفادته أداة الحصر (إنّما) في الآية الشريفة؟

....

السؤال الثاني: كيف تردّ على الحاقدين الذين أرادوا صرف هذه الآية عن مصداقها الحقيقي وهو أمير المؤمنين عليه السلام حين أشكلوا على أمرين:

أولاً: مجيء اللفظ بصيغة الجمع في حين أن المتصدق واحد.

....

....

....

ثانيًا: خلع الخاتم أثناء الصلاة يسبب الحركة المنافية للانقطاع إلى الله تعالى.

....

....

....

....

....

السؤال الثالث: اكتب باختصار سبب نزول هذه الآية الشريفة.

....

....

....

....

٧

السلوك الظاهري للمنافق والمؤمن

البقرة / ٢٠٤-٢٠٧

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

تتناول هذه الآيات الكريمة صورة تعبر عن نموذجين من النماذج البشرية والتي لا يخلو منها زمان أو مكان، فالنموذج المنافق المتلون الساعي لاستغلال حاجة الناس وطيبتهم وبساطتهم... فيصور نفسه مثالا للطيبة والطهر والنقاء ليكسب ثقتهم، فيستسلمون لحلو الكلام الصادر عنه ولأساليبه الناعم ملمسها ومواثيقه المغلظة المؤكدة... والله تعالى شاهد على ما يحويه قلب هذا الإنسان المنافق وزيفه، وبما أن سلوك النفاق منبعه باطني يرجع لنفس خبيثة ومريضة، فإن هذا المنافق سرعان ما يظهر مرضه على السطح الخارجي لسلوكه، وتلوّن الخبائث تصرفاته ليظهر على حقيقته عندما يصل إلى مبتغاه الذي سعى من أجله متلونًا بألوان النفاق، لذلك نجد أن القرآن الكريم يعطي صورة هذا الإنسان بحقيقتها عندما ينفذ إلى أعماقه الداخلية وتفاصيل حياته فيصوره بحقيقته بأنه إذا تولى الأمر وملك رقاب النّاس فإن عدالته التي كان يظهرها وصدقه الذي يعلنه وطيبته التي استغفل بها الناس واستغلهم تنقلب لأنها زائفة ويظهر صورته الحقيقية، فهو شديد الجدال والكره والعداوة للذين آمنوا وللحق الذي جاءه ولذلك جاء التعبير القرآني بلفظ (وهو ألدّ الخصام). فالتجربة هي التي تكشف هذا الإنسان وتسفر عن مدّعاه، فهو يحمل كل المعاني الشريرة في نفسه ولكنه كان يسترها وراء حجاب وقناع من الصدق والموادعة حتى يصل إلى ما يريد من جاه وشهرة... وما أن يستقيم له الأمر ويحقق ما يريد حينها يبدأ في التحرك في الأجواء الحاقدة وتظهر عليه سلوكيات الطغيان والبغي والتي تكون نتيجتها إهلاك الحرث والنسل، حيث يثير في المجتمع المشاكل والخلافات والمنازعات ويتوسل بكل الوسائل التي من شأنها أن تدمر مجتمع الإيمان وتفتت وحدته وتضعف قوته.

ولأن في هذا السلوك فساد وإفساد؛ فالله تعالى يبغض هذا السلوك ويبشر صاحبه بالعذاب الأليم.

وفي المقابل تنقل الآيات الكريمة صورة أخرى تمثل النموذج الإيماني الكامل الذي تتحد فيه الصفات العظيمة، فيكون ظاهره وباطنه الإيمان والتسليم والتضحية في خدمة دين الله والسعي لتحصيل مرضاته تعالى، ذلك هو الإنسان الذي باع نفسه لله ووهبها إليه ليحصل على المغفرة والرضوان والدرجة الرفيعة.

هذا النموذج الذي يعيش الحب الإلهي والعشق الإلهي، فهو لا يرى للنفس حرية بعيدة عن طاعة الله وإرادته، لذلك تجده يعيش الإحساس العميق بالمسئولية تجاه الدين والأمة ويسخِّر كل طاقاته الروحية والفكرية والجسدية في سبيل الله وفي سبيل نصرة دينه الحق.

وهذا النموذج هو نموذج الرساليين الذين يعيشون حياتهم من أجل الرسالة والعدالة، ويسعون إلى إعلاء كلمة الله، ولتكون الحاكمية لله وحده لا إلى طغاة الأرض وفراعنتها، والله تعالى هو الذي يتقبل من هذه النماذج أعمالها ويستقبل نفوسها العظيمة المجاهدة والتي تواجه الجهاد والموت بكل اطمئنان وسعادة، لأن في ذلك إعلاءً لكلمة الله وخذلاناً للشيطان وأعوانه.

ولعل المصداق الأعظم لهذه الآية ولهذا النموذج الكامل المجاهد هو المولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو الذي وهب حياته كلها لنصرة دين الله، وباع نفسه لله، وهو الذي فدى رسول الله صلى الله عليه وآله بروحِهِ عندما بات على فراشه حينما كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يستعد للخروج من مكة، وهو يعلم علم اليقين أن فراعنة قريش قد سعوا إلى قتل الرسول ووأد الرسالة، وقد جهزوا عددا من فتيانهم للهجوم على دار الرسول صلى الله عليه وآله، فلم تأخذه رهبة من ذلك ولا خوف مادام الأمر فيه سلامة للدين ونصرة للرسول الأمين صلى الله عليه وآله، فبات على فراشه وهو يقول: أو تسلم أنت يا رسول الله. هذا هو التسليم والإيمان الذي ما بعده إيمان.

وشتان بين من بات على فراش النبي العظيم صلى الله عليه وآله وهو يستعد لتلقي الموت نيابةً عنه ونصرةً للدِّين، وبين من نزل فيه (لا تحزن) وبين من قيل فيه: لا أشبع الله له بطنًا.

التطبيقات

السؤال الأول: تعرض الآيات الشريفة صنفين من النّاس مختلفين فكرًا وسلوكًا، فمن هما؟

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: أيّ الصنفين السابقين يشكّل خطرًا حقيقيًّا على الأمّة الإسلاميّة. ولماذا؟

....

....

....

....

....

السؤال الثالث: ما العلاقة بين أمير المؤمنين والآية (٢٠٧) من سورة البقرة؟

....

....

....

....

....

٨
الإمام المبين أبين الحق من الباطل

يس / ١٢

وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ

إنَّ الإنسان في سعيه وحركته في هذه الحياة ليس متروكًا سدى، بل إنَّ كل مواقفه وأعماله وحركاته مسجلة ومرصودة، ولابد لها من مرجعية تستند عليها، فالآية الكريمة قد تلت جملة من الآيات تناولت قضايا معينة تمثل أصولا في العقيدة الإسلامية كالتأكيد على بعثة الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم والتأكيد على أن مصدرية الرسالة هو الله العزيز الحكيم، كما أنها تناولت أيضًا صفات للمؤمنين كخشيتهم الرحمن بالغيب...

ومن الطبيعي أن الإنسان في حركته بالاتجاهين الإيجابيّ الإيمانيّ أو السلبيّ الضَّلاليّ فإنَّه محاسب على أفعاله كلها وأن جميع هذه الأعمال قد أحصيت وأعدت في صحف يقرأها الإنسان ويحاسب نفسه بنفسه (إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾)الجاثية/٢٩

ولكن ما هو الإمام المبين الذي أحصيت فيه هذه الأشياء؟

قيل إنَّه اللوح المحفوظ الذي أودعت فيه كل الأشياء، وقيل إنه الكتاب الذي يقرأه الإنسان ويقرُّ فيه على نفسه ويقال له (ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾)الإسراء/١٤، وقيل إنَّ الإمام المبين هو الإمام الحق الذي هو يمثل الامتداد الرسالي للنَّبي الأعظم صلى الله عليه وآله .

وقد ورد في الرواية أنَّه لمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ (وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ)، قام أبو بكر وعمر من مجلسهما وقالا: "يا رسول الله هو التوراة". قال ﷺ: "لا". قالا: "هو الإنجيل". قال ﷺ: "لا". قالا: "فهو القرآن". قال ﷺ: "لا".

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: "هو هذا إنَّه الإمام الذي أحصى الله فيه علم كُلِّ شيء".

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: "أنا والله الإمام المبين، أبين الحقّ من الباطل، ورثته من رسول الله ﷺ".

التطبيقات

السؤال الأول: كيف تثبت أنّ سعي الإنسان وحركته في الحياة دنيا ليست عشوائية؟ بل لها مرجعيّة تستند عليها؟

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: إنّ تأويل (الإمام المبين) لأمير المؤمنين عليه السلام له وجه يرجّحه على التفاسير الأخرى، وضّح ذلك؟

....

....

....

....

....

٩

سوء الظن مرض فتَّاك قاتل لروح المجتمع

الحجرات / ١٢

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾

إن حياة الإنسان مليئة بالأحداث وخليط من الراحة والألم، وكل إنسان يواجه في حياته مواقف كثيرة وأحداث متعددة، ولا يستطيع الإنسان أن يغير قانون الحياة، ولكنه يستطيع قطعًا أن يبحر في عالم الحياة بقلب سليم ونفس آمنة مطمئنة إذا هو التزم بالنهج الإلهي الذي يضمن له السعادة ويربي روحه ليتسامى فوق كل المحن والبلايا التي قد تعرُض له في هذه الحياة .

فالإنسان عندما تكون نظرته للحياة جميلة أو منطلقة من روحية جمالية، فإنَّه سيتمكن حتمًا من التكيف مع مفرداتها، بل إنه سيحول تلك المرارة والألم إلى تجربة مفيدة ودرس عملي يقوي فيه جانب الإيمان ويعمق المحبة.

أما من يستسلم للتشاؤم وينهار أمام أبسط المواقف، فإنه يرى الوجود سيئًا كريهًا وألمًا وشرًّا لابد من زواله، فيعيش التعاسة والألم أكثر، لأنه لا ينظر إلى الحياة إلا كونها سجلاً حافلاً بالآلام والمصائب.

إنَّ هؤلاء يرتبط شقاؤهم في الحياة بحوادثهم، بل إنَّ شقاءَهم مرتبط بالطريقة التي يتعاملون فيها مع مفردات الحياة وبالكيفية التي ينظرون بها إلى الحياة ويواجهون بها الحوادث.

إن للأفكار والأحاسيس الجميلة أثراً عميقاً في صياغة برامج السعادة الإنسانية، فلهذا ترى رسالة الإسلام تركز على تغذية النفس والروح ببرامج عظيمة وأمثلة راقية في مجال الكمال والتكامل، لتدفع بالإنسان نحو التقدم والتوازن الروحي، فبروح الإيمان العظيمة يمكنه العيش بمحبة وسلام وألفة ووئام، ويكون صلباً في مواجهة المصائب والهموم والآلام.

وكما أن النفس الإيمانية تحول المواقف الصعبة والآلام إلى دروس وعبر نراها تحول حتى المواقف الإيجابية إلى شحنات سلبية تغذي فيها التشاؤم والمرض النفسي، بل لا تقف عند حد النفس بل تتعدى ذلك لتؤثر على محيطها فتخلف حالة من الاضطراب وتطفئ مصابيح الأمل التي تنير درب الحياة. وإن الذي يعيش حالة كهذه ولا يقتصر ألمه على الروح فحسب، بل إن لم يؤثر في الجسم فيخلق له مرضاً أو يؤخر شفاء مرضٍ آخر، كما أنه يتعدى هذا المريض ليحدث مرضاً اجتماعياً يساهم في تفكيك المجتمع.

ولذلك نجد الآيات الكريمة والكلمات القرآنية الشريفة تحذر المؤمنين من الوقوع في مستنقع الظنون الفاسدة لأن في ذلك إثماً كبيراً.
فالظن يدفع بصاحبه إلى حالات من الشك في كل العلاقات، وذلك يدفعه إلى أن يعيش الهم الدائم.

يقول أحد المفكرين: "إن علاج من يسيء الظن بكلِّ شيء وكلِّ شخص أصعب بكثير من محاولة إنقاذ من يلقي نفسه في البحر مصمّماً على الانتحار".

وسوء الظن يدفع بصاحبه إلى الانزواء؛ لأنه لا يطمئن لأي إنسان فيعيش الهم والعزلة ويفتح صدره أكثر لوساوس الشيطان، بل إن هذه الحالة قد تدفعه إلى حالة من الكآبة وبالتالي يقدم على أن ينتحر وأن يزهق نفسه ويقتلها، وهو فعل محرم قطعاً وصاحبه مستحق للإثم.

أو إنَّه قد يخرج على المجتمع شاهراً سيفه ومصلتاً لسانه يفتك بهذا أو ذاك ويعرض بهذا أو ذاك... ولو تأملنا أكثر في مسيرة المجتمعات لوجدنا أن الكثير من المشاكل وحالات البغض والكراهية التي تعصف بالمجتمعات البشرية تكون ناشئة من سوء الظن، وسوء الظن كمرض لا يمكن أن يعمر نفساً أبداً، كما أنه لا يمكن أن يكون في نفس إيمانية أراد لها ربها الكمال والطهارة.

ولا عجب لو أنك ترى بعضاً من أهل العلم والفلسفة والحكمة... يعيشون سوء الظن ويفلسفون المواقف كلها استناداً لظنهم السيئ، فالصبر بحاكميةّ الإيمان على النفس لا بما تحمل من علم بعيد

عن القيم، فهذه النفس تشك في كل شيء وتسيء الظن في كل دعوة خير وإصلاح، وتضعها على هواها المنحرف، لتصب بعد ذلك في طريق تسميم روح المجتمع وتفرقته وتجزئته ليسهل انتهاشه من قبل الوحوش المتربصة به.

ولذلك نجد أن القرآن الكريم يعدُّ سوء الظن من موارد الإثم والذنوب والمعاصي، وهو يحذر المؤمنين من سوء الظن.

ولقد جاء عن الرسول الأعظم ﷺ: "المسلم على المسلم حرام دمه وماله وأن يسيء الظن به"، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن".

"إيَّاك أن تسيء الظن، فإن سوء الظن يفسد العبادة، ويعظم الوزر".

"سوء الظن بالمحسن شر الإثم وأقبح الظلم".

"من غلب عليه سوء الظن لم يترك بينه وبين خليله صلحًا".

"من لم يحسن ظنه استوحش من كل أحد".

التطبيقات

السؤال الأول: بيّن ثلاثة آثار سلبية لرذيلة سوء الظنّ.

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: يقول أحد المفكرين: إنّ علاج من يسيء الظنّ بكلّ شيء وكلّ شخص أصعب بكثير من محاولة إنقاذ من يلقي نفسه "في البحر مصمماً على الانتحار" ما رأيك في هذا القول؟ وكيف تردّ على أهل العلم حين يعيشون سوء الظنّ ويعللّون مواقفهم استناداً لظنّهم السيئ؟

....

....

....

....

....

١٠
الإنفاق الحقيقي في التصور القرآني

البقرة / ٢٦٧ -٢٦٨

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيۡطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾

يؤسس القرآن الكريم إلى مفهومٍ للإنفاق يقوم على النزعة الإنسانية الإيمانية بحيث يصل الإنسان إلى مرتبة من السخاء يشعر فيها بعمق المسؤولية الإنسانية، ولقد ضرب القرآن الكريم مثالاً راقيًا لهذا المستوى عندما تكلم عن بذل أهل البيت عليهم السلام لطعامهم تصدقًا على من هم محتاجون إليه وتقربًا إلى الله، ولم يكن الإنفاق من سائر ما عندهم بل كان بما هو (ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا...).

هذا المثال الرائع والراقي سيق ليعلم الإنسان كيف يجب أن يكون الإنفاق، فالإنفاق في التصور الإسلامي يجب أن يكون مرتكزًا على نوعية المال المنفق ويجب أن يصل إلى من يستحقه... وبالتجول في أجواء الآيات الكريمة نجد أن المفهوم القرآني يركز على ضرورة أن يختار الناس أفضل ما عندهم سواء كان تحصيله بالجهد والعمل أم كان بالصنع والإعداد أم كان مما تجود به الأرض من زرع وثمار ولم يُنفَق فيه جهد... المهم أن العطاء يجب أن يكون من طيب النوعية ومصدره طيبًا كذلك وهذا هو جوهر الحالة الإنسانية في البذل والعطاء بحيث يقاسم الإنسان أخاه الإنسان ما عنده من خير.

وعلى الإنسان أن لا يتجه إلى الشيء الرديء أو الخبيث ليمنحه الآخرين تخلصًا منه ومتسترًا بالإنفاق والعطاء، وعليه أن يضع نفسه موضع الحاجة هل كان سيقبل الرديء والفاسد أو الذي لا صلاحية له ليسد به حاجته.

والآيات السابقة تصور حال نموذجٍ من الناس أنهم يحاولون اختيار ما ينفقون على هذا الأساس، ولكن الله تعالى شأنه أراد أن يبيِّنَ لهؤلاء بأن مثل هذا السلوك ليس من الإيمان في شيء وإنه لا يمثل روح العطاء المنفتحة على القيم الإسلامية، بل إنَّه يمثل أسلوبًا للتخلص مما لا حاجة فيه مغلفًا بغلاف الإنفاق، وذلك لعبةٌ على القيم وخداعٌ للنفس.

ما هو مصدر هذا الخداع؟

هذا هو محور الآية الكريمة.

وخصوصًا في لحظات الضعف، لذلك ينادي الجليل جل شأنه يا أيها الإنسان لا تستمع لنداء الشيطان ووسوسته وصراخه، فهو مندسٌّ في أعماق النفس ليوحي إليها بعدم الإنفاق ويخوفها الفقر والحاجة لو أنها أنفقت وبذلت وأنَّها ستعيش الحرمان، ولماذا تنفق لماذا لا يقوم بذلك غيرها، لماذا، لماذا.... وسلسلة من التساؤلات التي تعمل بشكل مثبطات للعزيمة فتخلق حالة من التراجع في النفس، وما نتيجة سيطرة هذه الحالة؟

إن النتيجة الطبيعية لسيادة هذا الشعور وسيطرة هذه الحالة هي انتشار وتوسع دائرة الحرمان في المجتمع عن طريق:

١- تلويث النفس والبعد عن الحالة الإنسانية.

٢- معاناة قسم من أفراد المجتمع نتيجة الحاجة والحرمان.

٣- انتشار الجريمة والفساد المترتب على الفقر والحرمان.

٤- ضعف عام في حركة المجتمع، فالإنفاق يحرك الدورة الاقتصادية في المجتمع وينشط مفاصله فيعم الخير على الجميع وحبس الإنفاق هو تعطيل لقوة اقتصادية تسبب ضعف الاقتصاد وضعف في الوضع الاجتماعي.

والله تعالى بدعوته عباده للإنفاق إنما يدعو إلى الخير وصلاح الإنسان في الدنيا والآخرة ففي الدنيا يعيش الخير والرخاء ويعم السلم الاجتماعي وتتزكى النفوس وتتعمق العلاقات وفي الآخرة الفوز بالمغفرة والرضوان والنجاة من النار.

إن الله هو الغني الحميد وهو ليس بحاجة إلى ما ينفقه العبد فهو مصدر كل خير وعطاء وهو المتفضل على عباده وعلى الإنسان أن يتخلق بأخلاق الله تعالى وإن كان مؤمنًا موقنًا وأن يعطي من غناه شيئًا لمن هو في حاجة، ولكن الشيطان يندس في أعماق النفس الإنسانية فيوسوس للإنسان وخصوصًا في لحظات الضعف...

التطبيقات

السؤال الأول: علامَ يرتكز الإنفاق في التّصور الإسلامي؟

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: الإنفاق القائم على اختيار الرؤى أو الخبيث وتقديمه للمحتاج لا يمثّل روح العطاء المنفتح على القيم الإسلامية. فبم تُعلّل ذلك؟

....

....

....

....

....

السؤال الثالث: بيّن دور الشيطان -كما فهمت من الآية الشريفة- في تثبيط الإنسان عن الإنفاق؟

....

....

....

....

....

١١
الهلاك الحتمي بعد استحكام الحجج على العباد

الإسراء / ١٦

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ١٦﴾

ترتبط هذه الآية الشريفة بالآيات التي سبقتها من حيث المعنى ارتباطاً وثيقاً، لأنّ في عزلها عنها يظهر فيها إشكال كبير وهو: هل إنّ الله يأمر بشيء ثم يعاقب على امتثاله؟.

وهذا الإشكال هو الذي يظهر من خلال القراءة المجردة للآية الكريمة، ولكن مع الربط الموضوعي والتدبر يتبيّن أنَّه لا وجه لهذا الإشكال نهائيًّا ولا مورديَّة له.

فالآيات في ترابطها تتحدث عن المسؤوليّة الاجتماعيّة للإنسان فردًا أو جماعةً، وما على الإنسان أن يتحمّله ويفهمه من خطورة هذه المسؤولية التي ألقيت عليه، وإنّه إذا أراد السعادة والتقدم فعليه النهوض بمسؤولياته كلها بما تحتاج من جهد وسعي وصمود وتحدي، وقد تكون هذه المتعلقات بالمسؤولية صعبة وثقيلة على النّفس، فينهار أمامها ويتخلّى عنها ويميل مع هوى النّفس وبذلك يتحمّل جزاء المخالفة.

وقد سار القرآن الكريم في معرض توضيحه لهذه المسؤوليّة على طريق التوضيح بالمثال الحسّي لعلّ الإنسان يتنبه إلى حقيقة هذه المسؤوليّة وخطورتها وأهميّتها، وذلك بعد أن بيّن له حدوده ووضّح له مساره وبيّن له تكليفه وكشف له مستقبله الّذي سيؤول إليه أمره وإنّه سيحاسب ويجازى، فضرب المثال على شواهد تاريخية من الحضارات التي كانت قائمة من بعد نوح عليه السلام فانظر أيّها الإنسان أين

هي، كيف كانت عامرة ومتبجّحة بقوتها وكيف أصبحت، فبعضها ظلّ منها بعض من الآثار والشواهد وبعضها الآخر لم يبق منه إلا ذكر منقول فقد أبيدت بيدًا.

وبالعودة لأجواء الآية الكريمة، فالله تعالى قد تعهّد على نفسه وهو منطلق العدل الإلهي أنّه لا يعذب أحدًا حتى يصله الإنذار والتبليغ عن طريق الرسل مثلاً فيقيم عليه الحجّة فإن هو اهتدى كان فائزًا وإن عصى فقد استحقّ العقاب والجزاء.

فقال تعالى شأنه: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولاً)[الإسراء/١٥]. وذلك ليهديهم ويرشدهم وينذرهم ويبلّغهم رسالات ربّهم.

وإنّ الإهلاك لا يكون إلاّ بعد أن تتم الحجّة ويقام البرهان وتبلغ الرسالة فتنقطع كل الحجج والأعذار (قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ)[الأنعام/١٤٩].

فبعد أن تمّ الأمر والإنذار وتمادى القوم في غيّهم وفسادهم وإسرافهم هنالك حقّ عليهم القول فوقع عليهم العذاب، وهذا الجزاء باعتبار أنّ الإنسان قد عهدت إليه المسؤوليّة الاجتماعية ففرّط فيها فكان العقاب جزاء على تركه مسؤوليته.

وعلى هذا يتبيّن أنّ المراد من قوله تعالى: (وَإِذَآ أَرَدۡنَآ) أي إذا استحكمت الحجج على هؤلاء القوم

وبلغهم الإنذار والأمر بالهداية والرشاد والاستقامة والصلاح، ولكنّهم لم يستقيموا ولم يهتدوا بل ازدادوا علوًّا واستكبارًا وفسادًا، حينها يظهر الأمر والإرادة الإلهيّة بتدمير وإهلاك هؤلاء. ففي الآية الكريمة تقديم وتأخير.

ويلاحظ أنّ الآية لم تذكر المأمور به في السياق، فبان وكأنّ الأمر هو بالفسوق والعصيان وحاشى الله أن يأمر الإنسان بالفحشاء والمنكر، بل الله هو الهادي إلى سواء السبيل إنّما الآية تقديرها: إذا أمرنا قومًا بالهداية ووصّلنا إليهم القول والموعظة والإرشاد وبلغهم الإنذار وحملناهم المسؤولية، ولم ينتهوا عن غيّهم ولم يهتدوا إلى طريق الحقّ والاستقامة بل ويزداد كبراؤهم علوًّا وفسقًا وظلمًا، حين

ذاك يجري الأمر الإلهي والقضاء يمضي، فينزل بهم العذاب جزاء تخليهم عن مسؤولياتهم وإعراضهم عن الحجج والبراهين.

والآية لم تذكر المأمور به؛ لأنّه سبقت الإشارة إليه في الآية السابقة عندما أشارت أنّ لا عقاب ولا عذاب إلاّ بعد الإنذار والهداية وكيف يكون ذلك؟ يكون عن طريق الرسل والأنبياء وغير ذلك من الحجج.

وكذلك أشارت الآية الكريمة إلى مترفي القوم وهم رؤساء القوم والذين بيدهم كل المقدرات والآخرون تبعٌ لهم، فإن صلح الراعي صلحت الرعيّة والنّاس على دين ملوكهم.

التطبيقات

السؤال الأول: ظاهر الآية أنّ الله سبحانه وتعالى يأمر بالفسق والعصيان -وحاشا الله ذلك- فما هو تأويل الآية الذي يخرجنا من هذا الإشكال؟

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: متى يكون إهلاك الأمم المخالفة لأوامر ربّها وأنبيائها؟

....

....

....

....

....

١٢
عطاء الله تعالى ونعمته التي لا تحصر

إبراهيم/٣٤

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

إنَّ نِعَمَ الله على الإنسان كثيرة وكبيرة ولا يمكن لهذا الإنسان أن يحصي نعم الرحمن، فلقد سخَّر له كل ما في الكون من موجودات وجعلها في خدمته وتعمل لصالحه وما عليه إلا أن يأخذ منها ما يحتاجه.

وتشير الآية الكريمة إلى أنَّه تعالى شأنه قد أعطى الإنسان كل شيء، وعلى قولٍ في معنى (مِّن كُلِّ) أنه من كل شيء سألتموه بمعنى طلبتموه، وإنَّ هذا الموجود الذي أُعطيتموه ما هو إلا صنف من بعض مما هو في قدرة الله تعالى.

وقيل إنَّ المراد من سألتموه هو الطلب لما كان حقيقًا بأن يُسأل أو يُطلب نظرًا لاحتياج النَّاس إليه وعدم استغنائهم عنه وسواء سُئِلَ أم لم يُسْأَل.

بمعنى أنَّ الله تعالى شأنه قد تفضل على الإنسان بأن أعطاه كل ما تستقيم به حياته وهيأ له أجواء المعيشة ومستلزماتها سواء التي طلبها الإنسان وسأل الله تعالى أن يمنحه إياها أم إنَّه لم يسألها ولم يطلبها ومع ذلك أعطاها الله إليه ليسد حاجته حين الطلب وذلك تفضلاً منه سبحانه.

وإنَّ هذا الإنسان القاصر لا يتمكن مهما كانت وسائله وأساليبه أن يعدَّ أو يحصي نعم الله عليه، فهذه النعم خارجة عن نطاق العد والإحصاء، فكل ما في هذا الوجود وما وراءَه هو من نِعَمِه سبحانه وتعالى.

وبالرغم من التفضل الإلهي على هذا الإنسان وإتيانه كل ما يحتاجه في حياته ومعاشه وتطوره ونمائه، فإنه لم يشكر النعمة الإلهية حق شكرها بل كان كثير الكفران وظلم النفس، وإن هذا الكفران يؤدي به إلى الخسارة.

والآية الكريمة تحمل ردًا صريحاً على من ادَّعوا نقص الثروات والموارد عن حاجة الناس في هذه الحياة وأشاعوا أن المجتمع البشري يعاني من مشكلة اقتصادية تتمثل في النقص الظاهر في الموارد وهو ما أطلقوا عليه (ندرة الموارد الاقتصادية)، وبذلك فإنهم يعزون كل مشاكل الفقر والحرمان والكوارث الأخرى الناتجة عنها إلى النقص الحاصل في الموارد.

ولكن الآية الكريمة قد ردت هذه الدعوى ردًا قاطعًا، وأشارت إلى أن الموارد موجودة بما يكفي حاجة الناس، وأنه تعالى قد أفاض بكرمه وعطائه على عباده بكل ما يحتاجونه في معاشهم ومعيشتهم، بل إنه لم يقتصر عطاؤه على الأشياء التي طلبها الإنسان، بل إنه أعطاه الذي لم يسأله مما هو محتاج إليه، إنَّما المشكلة بنظر القرآن الكريم تتمثل في الإنسان نفسه، فهو الذي يتصرف في هذه الموارد توزيعًا وإنتاجا واستهلاكًا واستثمارًا أو اكتنازًا، وهو الذي ربط نفسه بقوانين هو وضعها وقيد نفسه بها وكانت حاكية عن النزعة الأنانية المفرطة وموجهة بوسوسة شيطانية، وهذا هو ما عبرت عنه الآية الكريمة بتأكيدها (إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ) فإن ظلم وكفران الإنسان يتمثل في عدم شكره للنعمة عمليًا، فقد ضيع الموارد وأساء التصرف وكتب على نفسه التعب والشقاء، كما أن هذه الدعوى لا يمكن قبولها لما تنطوي عليه من توجيه اتهام للخالق سبحانه وتعالى بأنه خلق الخلق للعناء والشقاء أو كيف أمّن حياتهم ولم يؤمن لهم احتياجهم، ولكن الله يقول إنه سخر كل شيء للإنسان وأعطاه كل ما يضمن حياته وسعادته.

إنّما السر في هذا الحرمان كما عبر عنه المولى أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: "ما رأيت من نعمة موفورة إلا وبجانبها حق مضيَّع وما جاع فقيرٌ إلا بما مُتِّعَ به غني".

التطبيقات

السؤال الأول: ورد في الدّعاء "يا من يعطي من سأله ومن لم يسأله تحنّنًا منه ورحمة" ما علاقة هذا الجزء من الدّعاء بالآية الشريفة: "وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُ"؟

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: الآية الشريفة: "وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُ" **تحمل ردًا صريحًا على مدّعي نقص الثروات عن حاجة النّاس. وضّح ذلك.**

....

....

....

....

....

١٣
نبي الله إبراهيم وسقمه مما يعبُد قومه

الصافات/٨٩

فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩

تتحدث الآيات الكريمة عن موقف نبي الله خليل الرحمن إبراهيم عليه وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام، حيث يصل به المقام بعد رحلة محاورات ومناقشات عديدة مع قومه بغية هدايتهم إلى عبادة الله الواحد القهار وترك ما يعبدون من أصنام يصنعونها بأيديهم ويخرون لها ساجدين، فانطلق سلام الله عليه من منطلق الحرص الرسالي وبدأ يحاورهم ويشككهم في جوهر عقيدتهم ويهدم مباني الفكر الباطل والضال، فَسَألهم ماذا تعبدون؟ أتكذبون على أنفسكم بأن هذه الأحجار آلهة؟ أنتم الذين تصنعونها وتهبونها هذه الصور والأشكال بعدما كانت حجارة صماء، وتتركون عبادة الله الخالق الذي يرزقكم ويعطيكم... ولكن العناد المتوارث والفكر الجامد أبى الاستجابة لنداء الحرية وواجه دعوته عليه السلام بعنف وغباء مستحكم، هنا اتجه النبي صلى الله عليه وآله على ضرورة إحداث صدمة وهزة حسية تنبه فكرهم وتساهم في إيقاظ العقول النائمة أو المخدرة بتأثير الفكر الجمعي والعادات السيئة المتوارثة.

ولكن كيف يتصرف خليل الرحمن، لقد اضطر للانسحاب من مجلسهم، لقد نظر إلى السماء نظرة تأملية و غادرهم وهو يقول (إِنِّي سَقِيمٌ).

والسؤال الذي يظهر هنا: هل كان إبراهيم مريضًا أو سقيمًا، وإذا لم يكن كذلك فما معنى سقيم هنا؟

إنّ إبراهيم عليه السلام لم يكن سقيمًا بالمعنى الذي يشير إلى المرض الجسدي فقد كان في وسط القوم يحاورهم ويحادثهم... ولكنه قال بأني سقيم في إشارة إلى السقم المعنوي والبراءة مما يعبدون.

فالسقم الوارد في التعبير هو إشارة لحالة السأم والضجر من وجود الأصنام منصوبة وتعبد في أرض الله من دونه، وكيف لا يكون إبراهيم عليه السلام سقيمًا وهو بطل التوحيد وهو صاحب القلب السليم ويعيش في وسط مجتمع وثني.

التطبيقات

السؤال الأول: ما الداعي الذي جعل نبي الله إبراهيم عليه السلام أن يقول: "إني سقيم"؟

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: وضّح المراد من "السُّقم" الوارد في الآية الشريفة؟

....

....

....

....

....

١٤

الولاية نعمة الله العظمى

التكاثر / ٨

ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨

في جو عام تحلق آيات هذه السورة لتخاطب الذين أخذهم اللهو والترف بأن يتلهون بالافتخار بما يمتلكون من أموال وأولاد وخدم... وأخذتهم حالات التفاخر بعيدًا حتى وصلوا إلى أن ذهبوا يعدون القبور ليخرجوا بنتيجة أيهم يكون غالبًا فالذين يكون عدد موتاهم أكثر وأحيائهم أكثر هم الغالبون، هذه الحالة من التفاخر والتَّعالي أخذتهم بعيدًا بعيدًا جدًا في غفلة عمّا ينتظرهم من الخسران والعذاب نتيجة غفلتهم ولهوهم، وأنهم سيرون أن لا أموالهم ولا أولادهم ولا كل ما كان تحت أيديهم سيغني عنهم من الله شيئًا، وإن الذي يخدم الإنسان ويفيده هو عمله الصالح وتقواه والتزامه بما أمر الله وانتهاؤه عمّا نهى الله عنه، وإنه مُسَائَلٌ عن كل شيء في هذه الحياة، وإنَّ الله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وإن هؤلاء المتفاخرين بالحطام وبالذي سيفرُّ عنهم يوم السؤال (يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ...)عبس/٣٣-٣٤، لو علموا بما ينتظرهم من حساب وعقاب لاستعدوا له ولكنهم أنكروا ذلك وفضلوا حياة الغفلة والبعد عن الصراط المستقيم.

وتتدرج السورة الكريمة في بيان جريمة هؤلاء الناس وغفلتهم، ثم بيان الإنذار والتحذير لهم ثم تؤكد ورودهم على الجحيم وإنهم مساءلون، ولكن عن ماذا هم مساءلون؟

قيل إن النعيم الذي سيساءل عنه النّاس يوم القيامة هي جميع النعم التي توصله إلى الكمال والرقي الإنساني ونيل الرضوان من الرب الجليل عز وجل شأنه، وهذه النعم تنقسم إلى قسمين: نعم مادية، ونعم معنوية.

فأمَّا النِّعَم المادية فهي جميع ما أفاضه الله تعالى برحمته وكرمه على الإنسان من نعم ظاهرة في هذه الحياة الدنيا.

وأما النعم المعنوية فهي رسالة الإسلام والنبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم، قال تعالى (لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ)آل عمران/١٦٤

وكذلك نعمة العقل والنظرة السليمة.

وإنما يساءل الإنسان عن هذه النعم لأنها وضعت بين لديه لأجل إيصاله إلى الهدف الذي من أجله خلق وهو أن يكون عابداً لله تعالى، فعلى الإنسان أن يسخر هذه النعمة لما يحقق الهدف لا أن يصرفها عن الغاية التي وضعت لها.

ولكن السؤال هنا: ما قيمة النعم المادية حتى يساءل عنها الإنسان ويوبخ، هل لها دخالة في انحراف مسيرته؟

إن هذه النعم المادية لا تساوي عند الله شيئا، بل إن الدنيا كلها لا تساوي عنده تعالى شيء ولو أنها كانت تساوي جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة ماء.

إذن إنَّ النعيم الذي سيساءل عنه الإنسان وخصوصًا بحسب تعبير الآية الكريمة وهو على شفير جهنم هو غير هذه النعم المادية، لأن الذي أوصله إلى هذه الهداية وجعله في حياته الدنيا يتفاخر بهذه النعم ظنًا منه أنها كل شيء هو حتمًا أمر غفل عنه فانحرفت مسيرته وظل طريقه، ولو أنه عرف الطريق واهتدى إليه لكان مغفوراً له؛ لأنه سيكون عبداً لله يمتثل لأوامره ويلتزم طريق الهداية والعمل الصالح. لذلك نجد الآية الكريم تعبر عن هذا المعنى، قال تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾)طه/٨٢.

والهداية فسرت في هذا المقام بحسب ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام بأنها الولاية، إذن الولاية هي ضمان الاستقامة على الدين، باعتبار أن الأئمة الهداة هم الامتداد الرساليّ لحركة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وإنهم الهادون المهديون.

وعلى هذا التقدير يكون الانحراف عن ولايتهم هو الخسران المبين، وبهذا يكون النعيم الذي يساءل عليه الإنسان هو نعيم الهداية والولاية، فالذي يضيعها فإنه قد ضيع الأمانة وخان الوصية التي أوصاها رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وآله.

ولأنها هي المطلوبة فقد احتاجت إلى العلم اليقيني، وإلا ما قيمة الماديات الفانية والله تعالى يقول: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾)سورة محمد/١٢.

وجاء في الرواية عن أبي حمزة أنه قال: "كنا عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام جماعة، فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذة وطيباً، وأوتينا بتمر ننظر فيه إلى وجوهنا من صفاته وحسنه، فقال رجل: لتسألنّ عن هذا النعيم الذي نعمتم به عند ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: "إنّ الله عز وجل أكرم وأجلُّ من أن يطعمكم طعاماً فيسوّغكموه ثم يسألكم عنه، ولكن يسألكم عمّا أنعم عليكم بمحمد وآل محمد عليهم السلام"(فروع الكافي–الجزء السادس–ص٢٨٠–حديث رقم ٣–طبعة سنة ١٣٦٧ هـ دار الكتب الإسلامية).

وفي رواية أخرى عن العيّاشي بإسناده، قال: "سَأَلَ أبو حنيفة أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن هذه الآية (ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾)".

فقال له عليه السلام: "ما النّعيم عندك يا نعمان؟".

قال: "القوت من الطعام والماء البارد".

فقال عليه السلام: "لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها، ليطولنّ وقوفك بين يديه".

قال: "فما النّعيم جعلت فداك؟".

قال عليه السلام: "نحن؛ أهل البيت، النّعيم الّذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءً، وبنا هداهم الله للإسلام، وهو النّعمة التي لا تنقطع والله سائلهم عن حق النّعيم الّذي أنعم به عليهم؛ وهو النبيّ صلى الله عليه وآله وعترته"(تفسير كنز الدقائق: ج١٤ / ص٤٧٧).

التطبيقات

السؤال الأول: أنعم المولى سبحانه على خلقه بنعم ماديّه ومعنويّة لا تحصى، عدّد ثلاث نعم معنوية.

....

....

....

....

....

السؤال الثاني: تعدّ نعمة الولاية لآل البيت عليهم السلام هي النِّعمة الحقيقية، والنِّعمة الكبرى التي سيُسأل عنها كلّ إنسان. فما الدليل على كونها كذلك.

....

....

....

....

....

١٥
دعوة نوح وتحقيق الوعد الإلهي في المستقبل

نوح / ٢٦- ٢٧

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾

في الآيتين الكريمتين عدَّة وقفات حول مسيرة نوح عليه السلام مع قومه وكذلك تحمل الآيات في ما تتضمنه من معنى البشارة العظمى بملء الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلمًا وجورا.

فنجد أن نوحًا عليه السلام قد دعا على قومه بالهلاك ليشمل جميعهم، وذلك واضح من كلمة (ديّارا) والتي تعني (ساكن الدار) وذلك بعد ما جربهم وأمضى معهم من العمر ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو يدعوهم للإيمان وترك عبادة الأصنام التي كانوا عليها عاكفين والتي مارس سادة الكفر ضغوطهم لتكون آلهة لقومهم استمراراً للطغيان واستعباداً للضعفاء من الناس.

ومن الوقفات في هاتين الآيتين الكريمتين إلماعة حول جهد نوح عليه السلام: فهل تعب نوح وبلغ به اليأس أن يدعو على قومه؟

إنَّه عليه السلام لم ييأس قطعًا فهو نبي ورسول اختاره الله تعالى على علم، وهو من أولي العزم الذين عرفوا بطول الصبر وشدة البأس في تحمل الصعاب، والدليل صبره على قومه تسعمائة وخمسين سنة وهو يدعوهم للإيمان ولولا النبأ القرآني والإخبار الإلهي له بأنه لن يؤمن له إلا من قد آمن، وكذلك الأمر بصنع السفينة والاستعداد ليواصل دعوته ولم يتوقف، ولكنه صلوات الله عليه يتحدث عن

جزئيات عمله الرسالي وحجم المهمة التي أوكلت إليه، لذلك تجد في كل الآيات السابقة على هذه الآيات تعداداً لمفاصل الحركة وجزئيات الدعوة وكيف كان عصيانهم له في كل مرحلة.

وقد يسأل أيضاً: أن هناك من آمن بنوح عليه السلام فلماذا لم يذكرهم وأطلق دعوته عامة؟

إن المؤمنين حتما غير مشمولين بتلك الدعوة وإنَّ المشمول بها هم أهل الكفر والعصيان، وإنَّ الأنبياء صلوات الله عليهم يتمنَّون ما يريده الله تعالى لعباده، فالله تعالى يريد أن يتوب على عباده والذين يتبعون الشهوات... ولا يرضى لهم الكفر أو الاغترار بأماني الشيطان ولذلك تجد هذه الصورة واضحة في قول نوح (إِنَّهُمْ عَصَوْنِي) وهي الآيات التي مهدت لأجواء الآيات المذكورة حين دعا نوح عليه السلام على قومه.

ثم قد يقال كيف علم نوح بأنهم إن بقوا فلن يلدوا إلا فاجراً كفارا في الوقت الذي يولد فيه الإنسان على الفطرة وأن الكفر لن يظهر إلا عند بلوغ الإنسان حداً من التميز والعقل والنضج؟

إن نوحاً عليه السلام هو نبي يوحى إليه من السماء، وقد أشار الوحي الإلهي إليه بما هو حاضر وما هو آت من مستقبل هؤلاء، وهذا أوضحته الآية الشريفة: (وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ) هود/٣٦.

فهذا نص واضح وصريح في أن القوم قد استحكم الشيطان على قلوبهم وأنهم إضافة إلى عدم إيمانهم فإنهم قد خلقوا أجواء الكفر لذرياتهم، فبحسب ما تناقلته الروايات الشريفة أنهم كانوا إذا حضرتهم ساعة الوفاة أوصوا أولادهم بعدم التصديق لنوح عليه السلام وهذا ما ساعد في تكوين هذا التصور نتيجة لاستقراء سلوكهم، حيث يهلك الكبير منهم ويقتدي على أثره الصغير.

وقد جاء في الرواية عن صالح بن ميثم قال: "قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: ما كان علم نوح حين دعا على قومه أنهم لا يلدون إلا فاجراً كفاراً؟ فقال: أما سمعت قول الله لنوح أنه لن يؤمن لك إلا من قد أمن.

هذا من جانب ومن جانب آخر، إن خبث النطفة التي تنعقد من أبوين خبيثين يتحد معهما في التأثير خبث المحيط الاجتماعي أو الحاضنة الاجتماعية التي ينشأ تحت ظلالها هذا الوليد، فإن نتيجتها الطبيعية غرس بذرة الكفر والنفاق منذ الصغر فلا يخرج من هذه البيئة إلا من انغمس قلبه في الكفر وتمحّض في النفاق، فلا يرى النور ولا الهداية إلا من ألقي في قلبه، وبذلك فإن فطرته تنحرف حتمًا، فمن يكون هكذا في صغره فما هو حاله عند الكبر.

ومن الوقفات أيضًا في هذه الآيات الكريمة قوله (وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)، حيث الفاجر هو الذي يرتكب الذنب الشنيع الكبير والقبيح، وإنَّ الفجور هو السلوك العملي للكفر، والكافر هو الذي قد بالغ في كفره إلى حد بلغ معه الضلال الكامل عقائديًا وفكريًا، فلا وجود لبصيص نور في قلبه وروحه، فتراه سلوكه الظلم والقهر والاستبداد والطغيان وهتك الحرمات.

إذن، ماذا يستفاد من هذه الآيات الواردة في دعوة نوح عليه السلام؟ ألم يستجب الله تعالى لدعوة نبيه صلوات الله عليه؟ خصوصا أنه قال: (لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ)، وحيث إننا لا نزال نرى الظالمين ظاهرين على الأرض؟

إن الله تعالى قد استجاب لدعوة نبيه عليه السلام وأهلك الظالمين في زمان نوح عليه السلام، وأراد الله تعالى أن يحكم آياته ويلقي حجته على عباده، ففي كل زمان يأتي داعي النور والهداية، ويقابله داعي الكفر والضلالة، وإنَّ الله تعالى قد أحكم مسيرة الحياة بقانون تسير عليه إلى أن تبلغ مداها، وإن أخباره تعالى صادق لا كذب فيه ولا تبديل (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا ۖ)فاطر/٤٣، ومما يستفاد من هذه الآية أن الوعد الإلهي الكامل يتحقق مع ظهور حجته في أرضه الذي قال فيه سيد الكونين نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطّول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي يملأ الدنيا قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا.

إذن تكون حركة المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف هي دعوة كل الأنبياء والمرسلين التي يحقق الله بها العدل على هذه الأرض ويعلن نهاية مهلة الظالمين وقال تعالى: (وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾)الأنبياء/١٠٥.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥﴾[القصص/٥].

فمتى تحقق هذا الوعد؟ إنه سيتحقق إن شاء الله على يد وليّه وحجته ليكون مصداقًا لدعوة وحركة كل الأنبياء والمرسلين ليحقق به الظهور الكامل لدعوة سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ حين قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩﴾[الصف/٨-٩].

اللهمَّ صَلِّ وسَلِّم على محمَّد وآل محمَّد وعجل فرجهم وأهلك عدوهم، اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه الطاهرين في هذه الساعة وفي كل ساعة وليًا وحافظًا وقائدًا وناصرًا ودليلاً وعينًا حتى تسكنه أرضك طوعًا وتمتعه فيها طويلاً برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم اجعلنا من شيعته وأعوانه وأنصاره المجاهدين بين يديه والمستشهدين تحت رايته ولوائه والفائزين بشفاعته وشفاعة آبائه الطاهرين.

أمر بطاعته إذا لم يكن هو معصوم ومبرأ من كل تهمة ومعصية وخطأ.

التطبيقات

السؤال الأول: علل:

أولاً: لم يذكر نوح عليه السلام من أمن به بل دعا عليهم جميعا بقوله"ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا".

....

....

....

....

ثانيًا: الإنسان يولد على الفطرة ورغم ذلك كان نوح عليه السلام يقول "ولا يلدوا إلا فاجرًا كفّارا" في حين أنّ الكفر لا يظهر إلا مع التمييز والعقل.

....

....

....

....

السؤال الثاني: القرآن كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أشار لاستجابة المولى سبحانه وتعالى دعوه نبيه نوح عليه السلام "لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا" فهلك من شمله الدعاء ونجا من ركب السفينة عليه السلام والإشكال المطروح هو: إذا كان المولى سبحانه قد استجاب دعوة نوح عليه السلام وأهلك الظالمين في زمانه، فلماذا لم نَزَلْ نرى الظالمين ظاهرين على الأرض ويمارسون الفساد؟

....

....

....

....